معارضة عبد الله بن المبارك لعمران بن حطّان
(دراسة مقارنة في ضوء التَّناصّ)

إبـراهيم سـويحِل: طالـب ماجسـتير، اختصـاص الشِّـعر العبَّاسـيّ، قسْـم اللُّغـة العربيَّـة، كلِّيَّـة الآداب والعلـوم الإنْسـانيَّة، بِالحسَكَة، جامعَةُ الفُرَات.

أ. د: قحطـان الفـلاح: أَسْـتَاذ فِـي كلِّيَّـةِ الآدَابِ وَالعُلُـومِ الإِنْسَـانِيَّةِ، جامعـة الفرات، اخْتِصَـاص: الشِّـعر العَبَّاسِـيّ، كلِّيَّـةُ الآدَابِ وَالعُلُومِ الإِنْسَانِيَّةِ.

الملخص

يتنـاول هذا البحِث ظـاهرة المعارضـة الشّـعريّة – الّتـي تعدّ من أبـرز أشكال التَّنـاصّ – دراسـة تطبيقيّـة مقارنـة متكئة على المنهج الوصفي التحليلي بين نصّين شعريّين لعلمين من أعلام الأدب العربيّ القديم.

الأوّل: عمران بن حطّان الخارجيّ، والثّاني: الفقيه عبد الله بن المبارك، في محاولة لاستجلاء قيمة البناء الفنيّ والموضوعيّ والأسلوبيّ في شعرهما، من خلال مقارنة صور التّشابه والاختلاف في المعايير الخارجيّة والدّاخليّة وما وراء ذلك من طاقات إيحائيّة ودلالات جماليّة في توليد الأفكار وتجديد المعاني.

الْكَلِمَاتُ الْمفْتَاحِيَّة: المعارضة الشعريّة، التَّناصّ، المقارنة.

مقدمة:

تحفل رياض الشّعر العربيّ بفرائد ونوادر شعريّة بديعة، تختلف أغراضها باختلاف البيئات والآراء والمعتقدات، وتكشف من خلال التّقاطع النّصّيّ المقارن أوجه التّشابه والاختلاف، وتعدّ المعارضة من العناوين العريضة في الشّعر العربيّ الّتي تتصدّر كثيرًا من قصائد الشّعراء القدامى والمحدثين.

والمعارضة لغةً: "من عارض الشّيء بالشّيء معارضة: قابله، وعارضت كتابي كتابه: أي قابلته، وفلان يعارضني: أي يباريني، عارض في السير: سار حياله وحاذاه، وعارضته بمثل ما صنع: أي أتيت إليه بمثل ما أتى وفعلت مثل ما فعل، ويقال : عارض فلان فلاناً، إذا أخذ في طريق، وأخذ في طريق آخر فالتقيا"[1]. **والمعارضة** في الاصطلاح الشّعري: أن ينظم شاعر قصيدة في موضوع ما، فيأتي شاعر آخر، فيعجب بهذه القصيدة بجانبها الفنيّ وصياغتها الممتازة، فينظم قصيدة من بحر الأولى وقافيتها وفي موضوعها أو مع انحراف عنه يسير أو كثير، حريصاً على أن يتعلق بالأوّل في درجته الفنيّة أو يفوقه فيها دون أن يعرض لهجائه أو سبّه، ودون أن يكون فخره صريحًا علانية فيأتي بمعانٍ أو صورٍ بإزاء الأولى تبلغها في الجمال الفنيّ أو تسمو عليها بالعمق أو حسن التعليل، أو جمال التمثيل، أو فتح آفاق جديدة في باب المعارضة[2].

ومن الفنون الأدبيّة الّتي لها علاقة بالمعارضات فنّ النّقائض، ولها اختلاف معها أيضاً، والتّوافق إنّما يكون في اتّحاد الغرض والوزن العروضيّ وحرف الرويّ وحركته، وهذه الأشياء للهجاء المقذع وإبطال الفكرة أو الرّأي أو القبول بما يخالفه ويكذبه في قوالب لفظيّة.

وأمّا الاختلاف بينهما فيكون في أنّ شاعر المعارضة ينظم للإعجاب والتّقليد والتّقييم الفنيّ الرّائع في حين يكون شاعر النّقيضة في موقف الرّد على خصمه واختلاف جوهريّ آخر بينهما يكمن في أنّ النّقائض، إنّما تكون بين شاعرين أو أكثر في زمن واحد ومتعاصرين إذا يسمع الواحد من الآخر، ثم يردّ عليه بالأسلوب نفسه، ولا يلزم في ذلك وحدة المكان بل المهمّ وحدة الزّمان ليصل الشّعر إلى مسامع الآخر ويردّ عليه، وهذا ما كان حادثًا في العصر الأمويّ بين شعراء النّقائض[3]. وهذا الشّرط نفتقده في دراستنا لنصّي عمران بن حطّان (ت84هـ)، وعبد الله بن المبارك (ت181هـ)، فلم يكونا متعاصرين؛ لذلك سمّينا هذه الدّراسة بالمعارضة الشّعريّة.

---

1 – **ابن منظور**، محمَّد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**. الطّبعة الثّالثة، تح: عبدالله علي الكبير، دار المعارف القاهرة، الجزء السّابع، ص167.

2 – **الشّايب** أحمد،١٩٩٨– **تاريخ النّقائض في الشّعر العربي**. ط (3)، مكتبة النّهضة المصريّة، ص 7 .

3 – **السّيد** إيمان، 2014 – **صور من المعارضات في الشّعر**. ط (1)، عالم الكتب الحديث إربد الأردن، ص61 62.

وتعدّ المعارضة من أبرز أشكال التَّناصّ الّذي هو تفاعل نصّ حديث مع نصوص سابقة عليه فـ **"كلّ نصّ هو عبارة عن فسيفساء من الاقتباسات، وكلّ نصّ هو تشرب وتحويل لنصوص أخرى"**. [1] كما أنّ **"التَّناصّ ظاهرة قديمة في خطاب البشر تنبه إليها الباحثون حديثاً، فأُعطيت مضموناً جديداً في الأدب، ثمّ أصبحت ملمحاً بارزاً في الكتابات المعاصرة"**.[2]

واتّفق الدّارسون على أنّ التَّناصّ يحدث من خلال المحاكاة بنوعيها: النّقيضة والمعارضة، فالكاتب الّذي يعارض يكون لديه نصّ يراه أنموذجًا ويسير على خطاه، وهذا لا بدّ من أن يتناص مع من يعارض وإن لم يكن حرفيا فيكون بالفكرة أو المضمون. أما النّقيضة فهي تأتي لتهدم النّصّ الّذي سبقها وتعيد بناءه من وجهة نظر الكاتب الجديدة[3].

المقارنة بين قصيدتي عمران بن حطّان و ابن المبارك:

ستتكلم هذه الفقرة بصورة عملية تطبيقية على قصيدتين معروفتين لهذين الشّاعرين، من خلال النقاط التالية:

أولا– مستوى المعايير الخارجيّة:

1. نشأة الشّاعر عمران بن حطّان
2. نشأة الشّاعر ابن المبارك

ثانيا– مستوى المعايير الداخليّة:

1. موضوع كلا القصيدتين (تشابه واختلاف).
2. الحقول المعجميّة للقصيدتين (تشابه واختلاف).
3. الصّور الشّعريّة والبنية الإيقاعيّة:

ويشمل ذلك على الأسلوب وموسيقا الألفاظ والوزن الشّعريّ.

ثالثا– الاستنتاج:

وهو ما توصل إليه الباحث من نتائج.

أولا– مستوى المعايير الخارجيّة:

قبل البدء بالمقارنة بين القصيدتين، يمكننا الوقوف على المستوى الخارجيّ للمقارنة، بالمرور على نشأة الشّاعرين والظّروف الاجتماعيّة والتّاريخيّة والثّقافيّة الّتي ترعرع في خضمّها هذان الشّاعران.

---

1 – **كريستيفا** جوليا، 1997– **علم النّصّ**. ط (2)، ترجمة: فريد الزّاهي و مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال الدار البيضاء.

2 – **الكلش** علي عبد الرزاق، 2014 – **التّناص في شعر مسلم بن الوليد**. مخطوط ، مكتبة كلية الآداب بجامعة حلب ص 18.

3 – ينظر: **علي** نور حيدر، 2024– **التّناص الدّينيّ في ديباجة الأمر بالنزول**. إشراف: الأستاذ رائد كاظم، وزارة التعليم العالي، جامعة بابل، ص 11

عمران بن حِطّان:

بصريّ سدوسيّ من شيبان، ويكنى أبا شهاب، أحد بني عمرو بن شيبان بن ذهل بن ثعلبة[1]، نشأ على الفقه والورع، وهو تابعيّ، توفي (84هـ)، تلقّى الحديث عن جمع من الصّحابة رضي الله عنهم، ومنهم: أمّ المؤمنين عائشة، وابن عباس رضي الله عنهم، وكان شاعرًا مفلقًا، نشأ وترعرع في البصرة، في حقبة تاريخيّة انعطافيّة، حيث هبّت رياح الخلاف والاختلاف، والتّعصب والتّقاتل بين فئات كثيرة من المسلمين، في هذه البيئة نشأت الخوارج وفرقها المتعددة، وسالت الدّماء البريئة، وهاجت النّفوس الضّعيفة، وغلت المراجل بالرّجال والنّساء، وتسلّطت الغّوغاء هنا وهناك. نشأ شاعرنا في هذه البيئة على مذهب أهل السّنّة والجماعة، بارعًا بالشّعر حافظًا للسّنّة، قال عنه الفرزدق: "**عمران بن حّطان من أشعر النّاس، لأنّه لو أراد أن يقول مثلنا لقال، ولسنا نقدر أن نقول مثل قوله**"[2]، ولكنّ الهوى مال بشاعرنا فزاغ عن الهدى إلى الضّلال وكما يقول ابن الفارض[3]:

ونَهــجُ ســبيلي واضِــحٌ لِمَــنِ اهتــدَى وَلَكِنَّهــا الأهــواءُ عَمَّــت فأَعمَــتِ

فقد أحبّ غزالة الشيبانيّة وهي امرأة خارجيّة ذات حسن وجمال، ، إلى جانب جمالها الآخّاذ تتصف بقوة بدنيّة وعصبيّة للرأي وهي مع ذلك مقاتلة شرسة، قال عنها الشّاعر الأمويّ (أيمن بن خريم الأسديّ)[4]:

أقامــتْ غَزَالــةُ ســوقَ الضّــرَاب لأهْــلِ العِــرَاقَيْنِ حــوْلاً قَمِيطَــا

تزوج عمران بن حطّان من غزالة على أمل منه أن يردّها إلى أهل السّنّة والجماعة، ولكنّها جرّته إلى مذهب الخوارج، فصار خارجيًّا من الفرقة (القعديّة)، وهم الّذين يرون جواز القعود عن القتال، وقيل إنّها ابنة عمّه تسمّى (جمرة) ويروى أنّها قالت له يوما: "أنا وأنت في الجنّة، قال: ومن أين علمت ذلك؟ قالت: لأنّك أعطيت مثليّ فشكرت، وابتليت بمثلك (لأنه كان دميم الوجه) فصبرت، ومقام الشّاكر والصّابر عند الله الجنّة[5]، ومصداق قولها هذا يعود لقوله تعالى: ﴿**نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ [سورة ص:44]، مدح الله بها كلاً من عبده الشّاكر سليمان ، وعبده الصّابر أيوب عليهما السّلام.

وفي هذا يقول سفيان بن عيينة (ت 198هـ) رحمه الله: " إني قرأت القرآن فوجدت صفة سليمان عليه السّلام مع العافية الّتي كان فيها قال الله تعالى عنه: ﴿ **وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ** ﴾ [سورة

1- **الجاحظ** عمرو بن بحر، 1998- **البيان والتّبيين**. الطّبعة السّابعة، تح: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي للطّباعة والنّشر والتّوزيع القاهرة، الجزء الثّالث، ص167.

2 - **الذّهبي** محمّد بن محمّد، 2001- **سير أعلام النّبلاء**. مؤسسة الرّسالة بيروت لبنان، د ط، الجزء الرّابع، ص 214.

3 - **ابن الفارض** عمر بن أبي الحسن، د ت - **الدّيوان**. دار صادر بيروت.

4 - **الأسديّ** أيمن بن خريم، 1999 - **الدّيوان**. ط (1)، تح: الطّيب العشاش، مؤسسة المواهب للطّباعة والنّشر بيروت لبنان، ص 52.

5 - **ضيف** شوقي، د. ت- **تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي)**. د. ط، دار المعارف بمصر، ص307.

ص:29–30]، ووجدت أيوب عليه السّلام مع البلاء الذي كان فيه، مدحه الله سبحانه بقوله: ﴿ **إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ**﴾ [سورة ص:44]، فاستوت الصّفتان، هذا معافى، وهذا مبتلى، فوجدت الشّكر قد قام مقام الصّبر، فلمّا اعتدلا كانت العافية مع الشّكر أحبّ إليّ من البلاء مع الصبر".[1]

عبد الله بن المبارك

هو عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظليّ التّميميّ، ولد بمدينه مرو (118هـ)، من أمّ خوارزميّة، وأب تركيّ، فنمت إليه بركة أبيه وصلاحه واستقامته. وتوفّي ابن المبارك سنة (181هـ) بعد منصرفه من الغزو، ودفن في هيت بالعراق، وقبره معروف بها، وقد عاش ابن المبارك في بيئة خلّابة، يحبُّ الطّرب والغناء والشّرب إلى أن جاءته التّوبة، بفضل الله تعالى[2]، فبعد سهر وطرب مع أصدقائه وانصرافهم عنه، حمل العود وأنشد يقول:

ألـــم يـــأنِ لـــي منـــكَ أن ترحمـــا وتعصـــــى العـــــواذِلَ واللوّمـــــا

يقول: "**فإذا هو لا يجيبني إلى ما أريد، فلما كررت عليه ذلك، فإذا هو ينطق، كما ينطق الآدمي يقول: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾** [الحديد:16]، **قلت: بلى يا ربّ، فكسرت العود وهرقت النّبيذ**"[3].

وأقبل ابن المبارك بعدها على العلم والعبادة، وبدأ رحلته العلميّة وطاف البلاد، ولقي العلماء والعبّاد، فصار أعلم أهل زمانه مع تقوى وورع، وكرم وشجاعة في الحرب، قلّما تجد نظيرًا له، جمع كلّ هذه المحاسن والفضائل، وقال عنه العجليّ: "**كان جامعاً للعلم متنوع الثقافة، فقد جمع الحديث والفقه والعربية وأيام العرب النّاس والشّجاعة والتجارة والسّخاء والمحبة عند الفراق**"([4]). ووصف ابن المبارك بالشّاعريّة أمر ذكره من ترجم له كابن سعد، وابن أبي حاتم، وابن عبد ربّه، والبغداديّ، والقاضي عياض، كما استحسنوا شعره، وعدّوه من شعراء الفقهاء المبرزين، بل كان من شعراء الأمّة وقد أعجب الخليفة الرشيد ببعض شعره واستحسنه.

وأمّا عصره فقد كان عصر رخاء واستقرار وتطور علميّ وتنافس في المجالات العلميّة والفضائل الخلقيّة، وفي هذه البيئة نشأ عالمنا المبارك وشاعرنا الفصيح.

ثانياً– مستوى المعايير الدّاخليّة:

1– موضوع القصيدتين:

تناولت القصيدتان موضوعاً واحداً في مسارين مختلفين وتباين واضح في الفكر والرؤية والانتماء، فكلتا القصيدتين تناولت موضوع المدح والإشادة بالمآثر.

أ– عمران بن حِطّان:

---

1 – **المزيّ** يوسف عبد الرحمن، 1992– **تهذيب الكمال في أسماء الرجال**. الطبعة الأولى، تح: بشار معروف ، مؤسسة الرسالة بيروت، ج 11، ص139.

2 – **المبارك** عبد الله– 2011م، **الدّيوان**. جمع وتح: د. مجاهد مصطفى بهجت، مجلة البيان الرّياض، ص16 –31.

3 – **المبارك** عبد الله– 2011م، **الدّيوان**، ص 18 –19

4 – **البغدادي** أحمد بن علي، 2002– **تاريخ بغداد**. ط (1)، تح: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلاميّ بيروت، ج ، ص

مدح ابن ملجم الخارجيّ، وأشاد بعمله الإجراميّ في قتل الإمام عليّ ابن أبي طالب رضي الله عنه، وفيه يقول[1]:

يـــا ضَـــربَةً مِـــن تَقِـــيٍّ مـــا أَرادَ بِهـــا إِلّا لِيَبلُـــغَ مِـــن ذي العَـــرشِ رضـــوانا
إِنّـــي لَأَذكُـــرُهُ حينـــاً فَأَحســـبُهُ أَوفـــى البَرِيَّـــةِ عِنـــدَ اللهِ ميزانـــا
أَكـــرِم بِقَـــومٍ بُطـــونُ الطَيـــرِ أَقبـــرهُمُ لَـــم يَخلِطـــوا ديـــنَهِم بَغيـــاً وَعُـــدوانا

وما وصلنا من شعر ابن حطّان في هذه القصيدة سوى هذه الأبيات، ولعلَّ القصيدة كانت أطول من ذلك، ولسبب ما لم تصلنا بقيّة الأبيات، وغالباً ما يكون السبب عدم الاهتمام بأدب أهل البدع وكتاباتهم، ولربّما القلق النّفسي الّذي كان ينتابه نتيجة اضطراب وضعه السّياسي، وملاحقته من قبل خلفاء الدّولة الأموية، حال بينه وبين اهتمام أهل عصره بمفاصل حياته الشّعريّة ولعلّ ذلك كان السّبب في عدم وصول شعره كاملاً إلينا في ديوان مطبوع .

لكن قصيدته في تمجيد قاتل الإمام عليّ كرّم الله وجهه كانت شرارة باطل، أضرمت نيران الحق في قصيدة ابن المبارك.

ب- **قصيدة ابن المبارك:**

مدح الصّحابة جملةً وتفصيلاً و ضمنها ردّاً على أهل البدع والزّيغ، ومنهم عمران بن حطّان، بأسلوب بارعٍ في ردّ ضمنيّ على كلّ من حاد عن جادّة الصّواب، وفيها يقول ابن المبارك[2]:

إنّـــي امـــرؤ لـــيسَ فـــي دينـــي لغـــامِزَةٍ لـــينٌ ولســـتُ علـــى الأســـلافِ طعّانـــا
وفـــي ذُنـــوبي إذا فكّـــرتُ مشـــتَغَلٌ وفـــي معـــاديَ إن لَـــم ألـــق غُفرانـــا
عـــن ذكـــرِ قـــومٍ مضـــوا كـــانوا لنـــا ســـلفاً وللنّبـــيّ علـــى الإســـلام أعوانـــا

ولا أزال لهـــــم مســـــتغفراً أبـــــدا كمـــا أمـــرتُ بـــه ســـرّا وإعلانـــا
فمـــا الـــدخولُ علـــيهم فـــي الـــذي عملـــوا بـــالطعن منّـــي وقـــد فرّطـــتُ عصـــيانا

ثم يتبع ذلك بتفاصيل الاحترام والتّقدير لأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأهمية الابتعاد عن سبّهم وشتمهم، والحط من قدرهم من باب حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "**لَيْسَ المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ**"[3]. فيقول ابن المبارك في مدحهم[4]:

---

1 – **الذّهبي** محمَّد بن محمَّد، 2001– **سير أعلام النّبلاء**. الجزء الرّابع، ص 214.

2 - **المبارك** - 2011م، **الدّيوان**. ص110.

3 – **التّرمذي** محمَّد بن عيسى، 1996م– **الجامع الكبير**(سنن التّرمذي، رقم (1977). ط (1)، تح: بشار عواد معروف، دار الغّرب الإسلاميّ بيروت، ج3، ص418.

4 – **المبارك** عبد الله– 2011م، **الديوان**. ص110– 111.

فـــلا أســـبّ أبـــا بكـــرٍ ولا عُمـــراً ولا أســـــبّ معـــــاذ الله عثمانـــــا
ولا ابـــن عـــمّ رســـول الله أشـــتِمُهُ حتـــى ألـــبّسَ تحـــت التـــربِ أكفانـــا
ولا الزبيـــــرَ حـــــواريّ الرســـــول ولا أهـــدي لطلحـــةَ شـــتماً عَـــزّ أو هانـــا
ولا أقـــــولُ لأمّ المـــــؤمنين كمـــــا قـــال الغـــواة لهـــا زوراً وبُهتانـــا

تكشف الأبيات السّابقة عن احتشاد ذاكرته الشّعريّة بالموروث الدّينيّ الّذي يتداخل مع القرآن الكريم تارة ومع حديث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تارة أخرى ، وإذا كان الخطاب الشّعريّ يحمل في طياته فضاءات أسلوبيّة متداخلة، ونصوصاً لغويّة غائبة، فإنّ الفضاء القرآنيّ يظلّ الرّافد الملهم الّذي يستمد منه الشّعراء والكتّاب على حدٍّ سواء وحدات دلاليّة، وصوراً جماليّة ينفذ الشّاعر بإيقاعها المتردّد في شعره إلى أعماق النّفس الإنسانيّة ومشاعرها الإسلاميّة حتّى يجعل النّفوس بها مشغوفة، والآذان إليها مصروفة، فتناصوا مع القرآن واقتبسوا من فيض بيانه وروعة مضامينه ما يقوّي حججهم، ويثري نظمهم، ويفتح آفاقاً بعيدة من التّخييل ومناحي واسعة من براعة التّصوير[1].

كما أنّ التّناصّ مع الحديث الشّريف، يظلّ الرّافد الدّينيّ الثّانيّ، الّذي يستلهم منه الشّعراء والأدباء على حدٍّ سواء الصّور الشّعريّة، بإيقاعها الجماليّ المتوافق مع الملفوظ الشّعريّ.

ومدح ابن المبارك للصحابة رضي الله عنهم وحبّه لهم لم يخرجه عن حدود الاعتدال كما فعل وقال أهل البدع والضّلال، فها هو يقول في حقّ صهري الرّسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (عثمان وعليّ) رضي الله عنهما[2]:

ولا أقـــول علـــيّ فـــي الســـحاب لقَـــد والله قلـــــتُ إذاً جـــــوراً وعـــــدوانا
لـــو كـــان فـــي المـــزن ألقتـــهُ ومـــا حمَلـــت مـــزنُ الســـحابِ مـــن الأحيـــاء إنســـانا
إنّـــي أحـــب عليّـــاً حـــبّ مقتصِـــدٍ ولا أرى دونَـــهُ فـــي الفضـــل عثمانـــا
أمّـــا علـــيٌّ فقـــد كانـــت لـــه قـــدَمٌ فـــي الســـابقينَ لهـــا فـــي النـــاس قـــد بانـــا
وكـــان عثمـــانُ ذا صـــدق وذا ورَع بـــرا أخينـــا جـــزاه الله غفرانـــا
مـــا يعلَـــم الله مـــن قلبـــي مشـــايَعَة للمغضـــبينَ عليّـــا وابـــن عفانـــا

وهذا في الرّدّ على اتّجاه أهل البدع والمغالين في عقائدهم، ثمّ يأتي ردُّه على ابن حطّان الّذي أظهر حبّه وولاءه لمبغضي عليّ كرّم الله وجهه إلى درجة مدح قاتله، فقال ابن حطّان[3]:

يـــا ضَـــربَةً مِـــن تَقِـــيٍّ مـــا أَرادَ بِهـــا إِلّا لِيَبلُـــغَ مِـــن ذي العَـــرشِ رضـــوانا

1 – **العدوي** أسامة الجميل، 2014، **التّناص القرآنيّ في الشّعر العباسيّ**. مجلة حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق: مصر، العدد: 34،ص3280.

2 – **المبارك** عبد الله– 2011م، **الدّيوان**. ص111.

3 – **الذّهبي** محمّد بن محمّد، 2001– **سير أعلام النّبلاء**. ص 214.

فقال ابن المبارك ردًّا على هذا الخارجيّ وتبرؤاً من مذهبه وزيفه [1]:

مـــا يعلَـــم الله مـــن قلبـــي مشـــايَعَة للمغضـــبينَ عليّـــا وابـــن عفانـــا
إنـــي لأمـــنحهم بغضـــي علانيَـــةً ولَســـتُ أكـــتُمُهم فـــي الصـــدر كتمانـــا
ولا أرى حرمـــــةً يومـــــا لمبتَـــــدعٍ وهنـــاً يكـــونُ لـــهُ منّـــي وأوهانـــا
ولا أقـــولُ بقـــول الجهـــم إنّ لـــهُ قـــولا يضـــارِعُ أهـــل الشّـــك أحيانـــا
ولا أقـــولُ تخلّـــى عـــن خليقَتـــه ربُّ العبـــادِ وولّـــى الأمـــرَ شـــيطانا
مـــا قـــالَ فرعـــونُ هـــذا فـــي تجبُّـــرِهِ فرعـــونُ موســـى ولا هامـــانُ طغيانـــا

وتبدو فاعليّة التَّناصّ الدّينيّ في فضاء الأبيات السّابقة واضحة جلية ولا سيّما، التّقاطع مع معاني الحديث الشريف: "**اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، لَا تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضًا بَعْدِي، فَمَنْ أَحَبَّهُمْ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، وَمَنْ آذَى اللَّهَ فَيُوشِكُ أَنْ يَأْخُذَهُ**"[2].

وبذلك ينشئ شاعرنا توازنًا واعتدالًا في الفكر والوجدان، فلا حبّه لعليّ كرّم الله وجهه، جعله يضعه في علوّ تهوي بمعتقده الرّيح في مكان سحيق، ولا تبرؤه ممن أحبّه بغلو جعله يتمادى إلى درجة مدح قاتله ومبغضيه، تحقيقًا لقوله عليه الصلاة والسلام في حق عليّ كرّم الله وجهه: "**فِيكَ مَثَلٌ مِنْ عِيسَى أَبْغَضَتْهُ يَهُودُ حَتَّى بَهَتُوا أُمَّهُ، وَأَحَبَّتْهُ النَّصَارَى حَتَّى أَنْزَلُوهُ الْمَنْزِلَةَ الَّتِي لَيْسَ بِهِ**". **ثُمَّ قَالَ: "يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ، مُحِبٌّ مُفْرِطٌ، يُقَرِّظُنِي بِمَا لَيْسَ فِيَّ، وَمُبْغِضٌ يَحْمِلُهُ شَنَآنِي عَلَى أَنْ يَبْهَتَنِي.**[3]".

2- الحقول المعجميّة في القصيدتين:

أ- قصيدة عمران بن حطّان:

على قلّة الأبيات الّتي وصلتنا من قصيدة عمران بن حطّان، فلا يخفى غناها بألفاظ تتناص مع حقول معجميّة متنوعة، من ذلك:

1- المصطلحات الدّينيّة: وحي، لفظ الجلالة (الله)، تقيّ، العرش، رضوان، دينهم، بغيًا، ميزانًا.

2- **مصطلحات الطّبيعة:** الطّير، أقبرهم، وهي مصطلحات رصينة، وقويّة، ولها موسيقا إيحائيّة بمقاصد الشّاعر.

3- الشّخصيات: تخلو القصيدة من الأسماء فلا نجد فيها ذكرًا للأشخاص بل نجده يقدّس طعنة قاتل سيدنا عليّ كرم الله وجهه دون ذكر اسمه، فربما يكون بسبب عدم وصول القصيدة إلينا كاملة، كما قلنا سابقا.

---

1 - **المبارك** عبد الله- 2011م، **الدّيوان**. ص111.

2 - **حنبل** أحمد، 1983- **فضائل الصّحابة**. ط (1)، تح: د. وصي الله محمّد عباس، مؤسسة الرّسالة بيروت، الجزء الأول، ص 47- 48.

3 - **حنبل** أحمد، 1983- **فضائل الصّحابة**. ط (1)، الجزء الثّاني، ص712.

ب- قصيدة ابن المبارك:

1- المصطلحات الدّينيّة:

امتلأت قصيدة ابن المبارك بألفاظ تتناص في غالبها مع حقل معجميّ واحد، ألا وهو: المصطلحات الدّينيّة. من ذلك: ذنوبي، معادي، غفران، مستغفرًا، المؤمنين، زورًا، بهتانًا، وغيرها من المصطلحات الدينيّة، فجاءت القصيدة أغنى من قصيدة ابن حطّان بالألفاظ والمصطلحات الدينيّة، **ويرجع ذلك لأسباب منها:** طول قصيدة ابن المبارك، ودخوله في أشهر تفاصيل حياة الصّحابة رضي الله عنهم، وتطرقه إلى أكثر من محور من المحاور الدينيّة كفضل الصّحابة، والتّبرؤ من البدع، والحديث عن بعض الفرق العقائديّة كالجهميّة مثلاً، والدّعوة إلى التّمسك بالقرآن الكريم والاعتصام بحبل الجماعة، وما إلى هنالك من تشعبات وتفاصيل.

2- مصطلحات الطّبيعة:

ذكر ابن المبارك في قصيدته الكثير من المصطلحات الّتي تتعلّق بالبيئة والطّبيعة من حوله، مثل: المزن، والسّحاب، والتّراب، واللّيل.

3- الشّخصيات:

القصيدة زاخرة بمعجم الشّخصيّات، فقد ذكر من **الأنبياء:** رسول الله محمّد صلى الله عليه وسلم، وموسى عليه السلام.

ومن الصّحابة: أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليًا، والزبير، وطلحة، وعائشة، رضي الله عنهم جميعًا.

ومن أصحاب الفرق: الجهم بن صفوان (مؤسس الفرقة الجهميّة).

ومن الطغاة: فرعون وهامان.

3- الصّور الشّعريّة والبنية الإيقاعيّة:

كلتا القصيدتين جاءت على وزن البحر البسيط **(مستفع لن فاعلن مستفع لن فاعلن)** وهو بحر صاخب تارة وهادئ تارة أخرى ، سلس مرن، كأخيه البحر الطويل، وكثيرًا ما يستخدم في القصائد الطّويلة، فهو بحر تعلو أمواجه وتخفض على الإيقاع الرّوحيّ والوجدانيّ للشّاعر.

وأمَّا رصانة الألفاظ ومتانتها وتماسك الجمل وقوتها، فقد كان لابن حطّان النّصيب الأوفى من ذلك في رأيّ الباحث بعفويّة، كما أنّها تتناص مع موروث الأدب الجاهليّ، وكأنّها مقطوعة من قصائد المعلّقات، وهو ما يعبر عنه بتناص الأفكار أو المقروء الثّقافيّ أو الذّاكرة التّاريخيّة التي تستحضر تناصها بروحها أو بمعناها وتفهم من تلميحات النّص وترميزاته[1].خذّ على سبيل المثال قوله : "**أَكرِم بِقَومٍ بُطونُ الطَيرِ أَقبرهُمُ**"، فالعبارة فيها اندماج إيحائيّ وتصوير فنّيّ بين الإنسان والطّبيعة، على غرار شعراء الجاهليّة، الّذين امتزجت أفكارهم

1 – **محمّد** عزه شبل، 2007– **علم لغة النّصّ النّظرية**. ط (1)، مكتبة الآداب القاهرة، ص79 80.

ومشاعرهم بكل جزء من الطّبيعة حولهم، واقتبسوا من اللّيل والبحر والنّجم والفرس والصّخر صورهم البيانيّة، كما قال امرؤ القيس[1]:

وَلَيـــلٍ كَمَـــوجِ البَحـــرِ أَرخـــى سُـــدولَهُ عَلَـــيَّ بِـــأَنواعِ الهُمـــــومِ لِيَبتَلـــــي

ومن الصّور البيانيّة الموحيّة قول ابن حطّان السّابق: "**أَكرِم بِقَومٍ بُطونُ الطَيرِ أَقبرهُمُ**"، حيث يأخذك الخيال إلى ساحات الوغى الّتي انتشرت فيها جثث المقاتلين منهم، حيث لم يدفنوا في الأرض لكثرتهم بل لتأكل لحومهم الطير، أو للتّعبير– على حدِّ زعمه – عن رفعة مقامهم، أو للدّلالة على كونهم شهداء، صارت أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنّة، وتأكل من ثمارها، كما ورد في الحديث الشريف: إِنَّ أَرْوَاحَ الشُّهَدَاءِ فِي طَيْرٍ خُضْرٍ تَعْلُقُ مِنْ ثَمَرِ الجَنَّةِ أَوْ شَجَرِ الجَنَّةِ[2]. هذه الصّور الموحية جاءت في عبارة موجزة مترابطة فالبلاغة هي الإيجاز، من الصّور البيانيّة وتأتي جمل ابن حطّان متراصة متماسكة، لا تكاد تجد فيها خللاً، اقرأ على سبيل المثال[3]:

إِنّـــــي لَأَذكُـــــرُهُ حينـــــاً فَأَحســـــبُهُ أَوفـــــى البَرِيَّـــــةِ عِنـــــدَ اللهِ ميزانـــــا

فقد ارتبطت الجملة الاسميّة مع العوامل الدّاخلة عليها ببعضها، برباط قوي متين سلس: إني، لام التأكيد، أحسبه، ثم ختمت الجمل بالتمييز، ميزانًا، لتعطيك نتيجة اشتاق إليها الفكر و الوجدان.

أمّا عند ابن المبارك فنجد تناص اللّغة والأسلوب، الّذي وظّفه فنيًّا وفكريًّا في شعره مصبوغًا بالصّبغة الدّينيّة، فإن أسلوب السّرد والشّرح والوضوح، هو الغالب على روح القصيدة عنده، مع ندرة في الصّور البيانيّة الموحيّة، مع ذلك جاءت عنده استعارات وصور هادئة موحيّة كما في قوله[4]:

ولا الزبيـــــرَ حـــــواريّ الرســـــول ولا أهـــدي لطلحـــةَ شـــتماً عـــزّ أو هانـــا
إنـــي لأمـــنحهم بغضـــي علانيَـــةً ولَســـتُ أكـــتُمُهم فـــي الصـــدر كتمانـــا

فالإهداء والمنح غالباً يكون في الأمور الماديّة، أما ابن المبارك فقد استعارها للمعنويات الوجدانيّة، كما أنَّ استعمال ابن المبارك للتّناص مع القرآن الكريم، أضفى جماليّة ورونقًا وبعدًا إيحائيًا ودلالة معبرة كما في الصّور البيانيّة مثل قوله[5]:

1– **القيس** امرؤ بن حجر الكنديّ، 2004– **الدّيوان**. ط (2)، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت، ص 45.

2 - **التّرمذي**، 1996م– **الجامع الكبير**(سنن التّرمذي)، رقم (1641). ج 3، ص228.

3 – **الذّهبي** محمّد بن محمّد، 2001– **سير أعلام النّبلاء**. الجزء الرابع، ص 214.

4 – **المبارك** عبد الله– 2011م، **الدّيوان**. ص111.

5 – المصدر نفسه: ص111.

إنَّ الجماعـــــة حبـــــلُ الله فاعتصـــــموا بهـــا هـــي العـــروة الـــوثقى لمـــن دانـــا

ففي البيت تناص لفظيّ من القرآن الكريم، في ثلاثة مواضع: حبل الله، واعتصموا، والعروة الوثقى.

– **الموضع الأول:** في قوله: (حبل الله فاعتصموا) فهو تناص مع قوله تعالى:

﴿ **وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ** ﴾ [آل عمران: 102–103]. **واعتصم بحبل الله:** التّجأ وامتنع بحبل الله عن المعصية، والآية تدعو إلى التّمسك بكتاب الله تعالى، فحبل الله تعالى هو القرآن الكريم لقوله صلى الله عليه وسلم: "**القرآن حبل الله المتين، لا تنقضي عجائبه، ولا يخلق على كثرة الرد، من قال به صدق، ومن عمل به رشد، ومن اعتصم به هدي إلى صراط مستقيم**"[(1)].

– **الموضع الثاني:** في قوله: (العروة الوثقى)، وهي تتناص مع العبارة التي أضافها القرآن الكريم إلى قاموس اللغة العربية بهذا التركيب الوصفي، (العروة الوثقى)، وقد وردت في موضعين من القرآن الكريم في سورة البقرة: ﴿ **فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾ [البقرة: 255–256].

وفي سورة لقمان: ﴿ **وَمَنْ يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى**﴾ [لقمان: 21–22]، **والعروة:** هي الشّق الّذي يحدث في الثّوب لتثبيت الزّر، **الوثقى:** مشتقة من وثق. والعروة الوثقى: استعارة تصريحيّة تمثيليّة، فقد شبّه من يسلك سبيل الله بمن أخذ بحبل وثيق مأمون لا ينقطع، فهو آمن من الانزلاق، والتّردّي في مهاوي الخطل والضّلال[(2)].وهذا الوصف يضفي على المعنى قوة التّماسك بين الزّر والعروة، وتمتين الصّلة بينهما، وكذلك الدّين الإسلاميّ، والعقيدة الرّبانيّة، من تمسك بها فهي النّجاة والثّبات والتّماسك.

وهكذا جاء الشّاعر بالعبارة ذاتها: (فإنّها العروة الوثقى لمن دانا) بإبداع بين عبارتين متناصتين مع الآيات القرآنيّة، وترابط يؤكد قوّة الجماعة المتمسكة بحبل الله المتين فيما بينها بالعروة الوثقى.

ثالثا– النّتائج:

نستشف من هذه المقارنة أن القصيدتين موضوع الدّراسة قد تميزتا بجملة من الخصائص المشتركة:

1– فقد تناولت كلتاهما موضوع المدح والثّناء، وكونهما من بحر واحد وقافية وروي واحد، ولكن اختلفتا اختلافًا جوهريًا في المضمون وأساليب التّعبير والصّور البيانيّة وموسيقا الألفاظ.

2– كما نجد تنوع الظّواهر التّناصّية ولا سيّما، في قصيدة ابن المبارك على أشكال عدة، ولكلّ منها دوره وأهميته في توجيه المعنى وإنتاج الدّلالة الجماليّة، الّتي تنمّ عن إدراك الشّاعر للموروث الدّينيّ بكل مصادره.

3– ومن السّمات البارزة في شعر ابن المبارك أنه شعر يتحقق فيه معنى المسؤولية ومفهوم الالتزام النّقديّ، لأنّه صورة حقيقة لشخصيته بلون وطابع خاصّين يوافق مشربه واتجاهه، وليس في شعره ما يظهر تناقضًا أو

1 – **النّيسابوريّ** الحاكم محمّد بن عبد الله، 1990- **المستدرك على الصّحيحين**. تح: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الجزء الأول، ص 741

2 – **درويش** محيي الدّين بن أحمد مصطفى، د ت– **إعراب القرآن وبيانه**. الطّبعة الرّابعة، دار ابن كثير دمشق، الجزء الأول، ص 387 389

اختلافًا في تلك المضامين، بل تجتمع أغراضه المختلفة لترسم شخصيته بدقة ووضوح وعمق وجلاء، كما مرّ معنا في اعتداله في معتقده بمكانة الصّحابة رضوان الله عليهم أجمعين، ومحبته الصّادقة لهم فجاءت قصيدته ذات واقع في نفس المتلقي، خاصة في حرارة عاطفتها الإسلاميّة وتدفقها الانسيابي[1].

4- ولاحظنا في شعر ابن المبارك شيئا من نفس الخوارج كالاستشهاد في سبيل الله وفي مجموعة من الصّفات الرّاقية الّتي تحقق مثاليّة المسلم، وإن كانت هذه الصّورة تتنازعها الفرق الإسلاميّة جميعًا، كما في شعره آثار واضحة من كتاب الله وسنة رسول الله ، وآثار المذاهب والفرق ومصطلحات العلماء وهذا يدّل على انفتاحه على علماء عصره على اختلاف مشاربهم ومذاهبهم[2].

5- ولو صحّ التّعبير لقلنا: إن قصيدة ابن حطّان كانت شرارة باطل، أضرمت نيران الحق في قصيدة ابن المبارك، وأذكت روح التّنافس بين الشّعراء الّذين أضافوا بمعارضتهم رافدًا جديدًا من الرّوافد الّتي تصبّ في محيط الأدب العربيّ فأثرته شكلًا ومضمونًا.

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

1. **الأسديّ** أيمن بن خريم، 1999 – **الدّيوان.** ط (1)، تحقيق: الطّيب العشاش، مؤسسة المواهب للطّباعة والنّشر بيروت لبنان.
2. **البغدادي** أحمد بن علي، 2002- **تاريخ بغداد.** ط (1)، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلاميّ بيروت.
3. **التّرمذي** محمَّد بن عيسى، 1996م- **الجامع الكبير(** سنن الترمذي**).** الطبعة الأولى، تحقيق: بشار عواد معروف، دار الغّرب الإسلاميّ بيروت.
4. **حنبل** أحمد، 1983- **فضائل الصّحابة.** ط (1)، تحقيق: د. وصي الله محمَّد عباس، مؤسسة الرّسالة بيروت، الجزء الثّاني.

1 – **المبارك** عبد الله- 2011م، **الدّيوان.** ص30.

2 – المصدر نفسه: ص31.

5. **الجاحظ** عمرو بن بحر، 1998– **البيان والتّبيين**. الطّبعة السّابعة، تحقيق: عبد السّلام هارون، مكتبة الخانجي للطّباعة والنّشر والتّوزيع القاهرة، الجزء الثّالث.
6. **درويش** محيي الدّين بن أحمد مصطفى، د ت– **إعراب القرآن وبيانه**. الطّبعة الرّابعة، دار ابن كثير دمشق، الجزء الأول.
7. **الذّهبي** محمَّد بن محمَّد، 2001– **سير أعلام النّبلاء**. مؤسسة الرّسالة بيروت لبنان، الجزء الرابع.
8. **ضيف** شوقي، **تاريخ الأدب العربي العصر الإسلامي**ّ. الطبعة السّابعة، دار المعارف بمصر.
9. **السّيد** إيمان، 2014 – **صور من المعارضات في الشّعر**. ط (1)، عالم الكتب الحديث إربد الأردن.
10. **الشّايب** أحمد،١٩٩٨– **تاريخ النّقائض في الشّعر العربي**. ط (3)، مكتبة النّهضة المصريّة.
11. **العدوي** أسامة الجميل، 2014، **التّناصّ القرآنيّ في الشّعر العباسيّ**. مجلة حولية كلية اللغة العربية بالزقازيق: مصر، العدد: 34.
12. **ابن الفارض** عمر بن أبي الحسن، د ت – **الدّيوان**. دار صادر بيروت.
13. **كريستيفا** جوليا، 1997– **علم النّصّ**. ط (2)، ترجمة: فريد الزّاهي و مراجعة: عبد الجليل ناظم، دار توبقال الدار البيضاء.
14. **الكلش** علي عبد الرزاق، 2014 – **التّناصّ في شعر مسلم بن الوليد**. (مخطوط) جامعة حلب .
15. **المبارك** عبد الله- 2011م، **الدّيوان**. جمع وتحقيق: د. مجاهد مصطفى بهجت، مجلة البيان: الرّياض.
16. **محمَّد** عزه شبل، 2007– **علم لغة النّصّ النّظرية**. ط (1)، مكتبة الآداب القاهرة، ص79 80.
17. **امرؤ القيس** جندح بن حجر الكنديّ، 2004– **الدّيوان**. ط (2)، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة بيروت.
18. **المزيّ** يوسف عبد الرحمن، 1992– **تهذيب الكمال في أسلم الرجال**. الطبعة الأولى، تحقيق: بشار معروف ، مؤسسة الرسالة بيروت، ج 11.
19. **ابن منظور**، محمَّد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**. ط (3)، تحقيق: عبدالله علي الكبير، دار المعارف القاهرة، الجزء السّابع.
20. **النّيسابوري** الحاكم محمَّد بن عبد الله، 1990- **المستدرك على الصّحيحين**. تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، الجزء الأول.

Abdullah bin Mudarak's opposition to Omran bin Hattan (A comparative study in the case of intertextuality)

This research studies the phenomenon of emotional opposition, which is one of the most prominent forms of sniperism, an applied comparative study between two texts written by two famous figures of ancient Arabic literature, the first being Al-Imran bin Hattan Al-Kharji, and the second the jurist Abdullah bin Al-Mubarak. In an attempt to clarify the value of the artistic, thematic, and stylistic structure in their poetry through a comparison of similarities and differences in external and internal standards, and beyond that, there are faith energies and aesthetic connotations in generating ideas, renewing glory, and knowing the prices of the Mahmoudian experience.

Keywords: poetic opposition, Intersexuality comparative.